

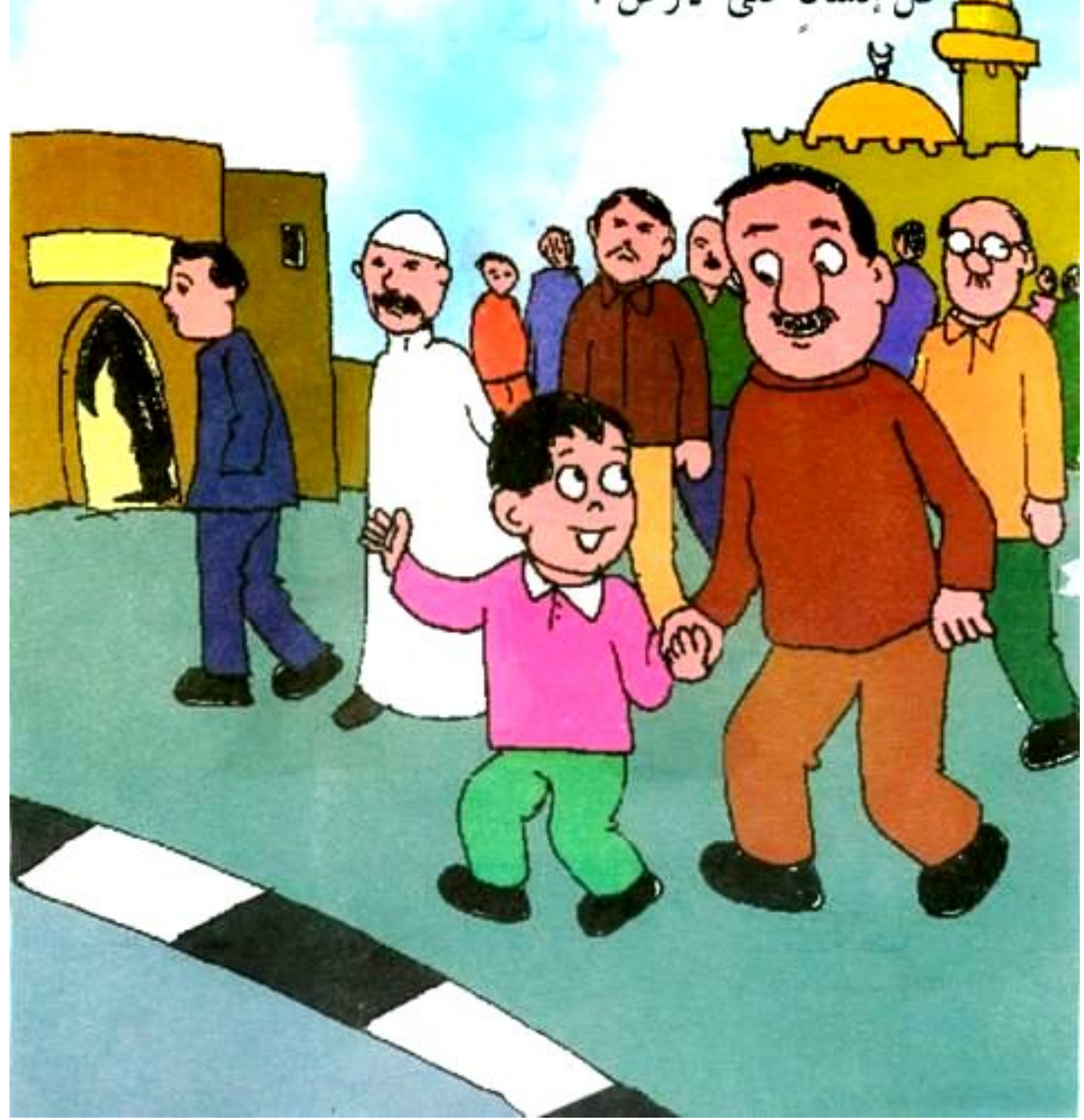
ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

الصبى و الحراس الثلاثة

بقلم ورسوم : شوقى حسن

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة

(١) خرَجَ طارِقٌ معَ جُموعِ المُصلِّينَ من المَسجد بعدَ صَلاةِ الجُمُعَة ، وسَألَ والِدَه : لاحظت فى نِهايَةِ خُطبَةِ الإمامِ يا أبى أنه قالَ : إنَّ اللَّه يُجيبُ دَعوَةَ الدَّاعِ إذا دَعاه ﴿ وقالَ ربُّكُم ادْعونى أسْتَجبْ لكم ﴾ فهلْ يَقبلُ اللَّهُ دَعوَةَ كلِّ إنسانٍ علَى الأرض ؟

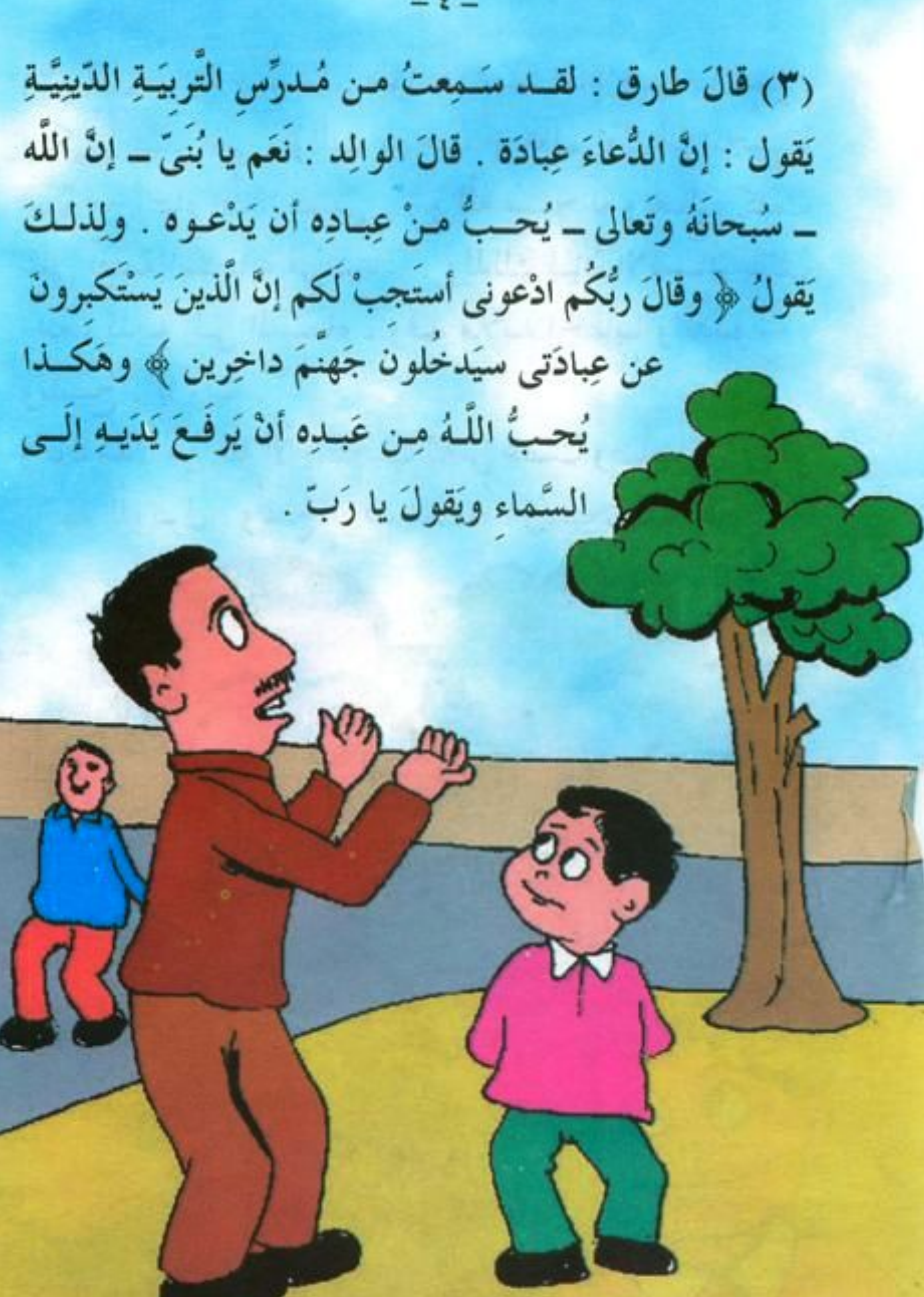


(٢) قالَ الوالِدُ مُبتَسِما : سُؤالُك هَـذا هـامٌّ جـدًا يـا بُنـى ، ولِكى أُجيبَ عَلَى سُؤالِك ، يَجبُ أن تَعلَمَ أوّلاً أنَّ المُجيـبَ اسْمٌ من أسماءِ اللَّهِ الحُسنى . . واللَّهُ سُبحانَهُ وتَعالَى كَتَبَ عَلى نَفسِه اسْتِجابَة مَنْ دَعا . . ولِذلكَ فإنَّ الإنسانَ يَقفُ رافعًا يَديهِ إلَى السَّماء ، وقد مَلأتْه الخَطايا والذُّنوب ، ويَصيحُ : يا رَبّ .

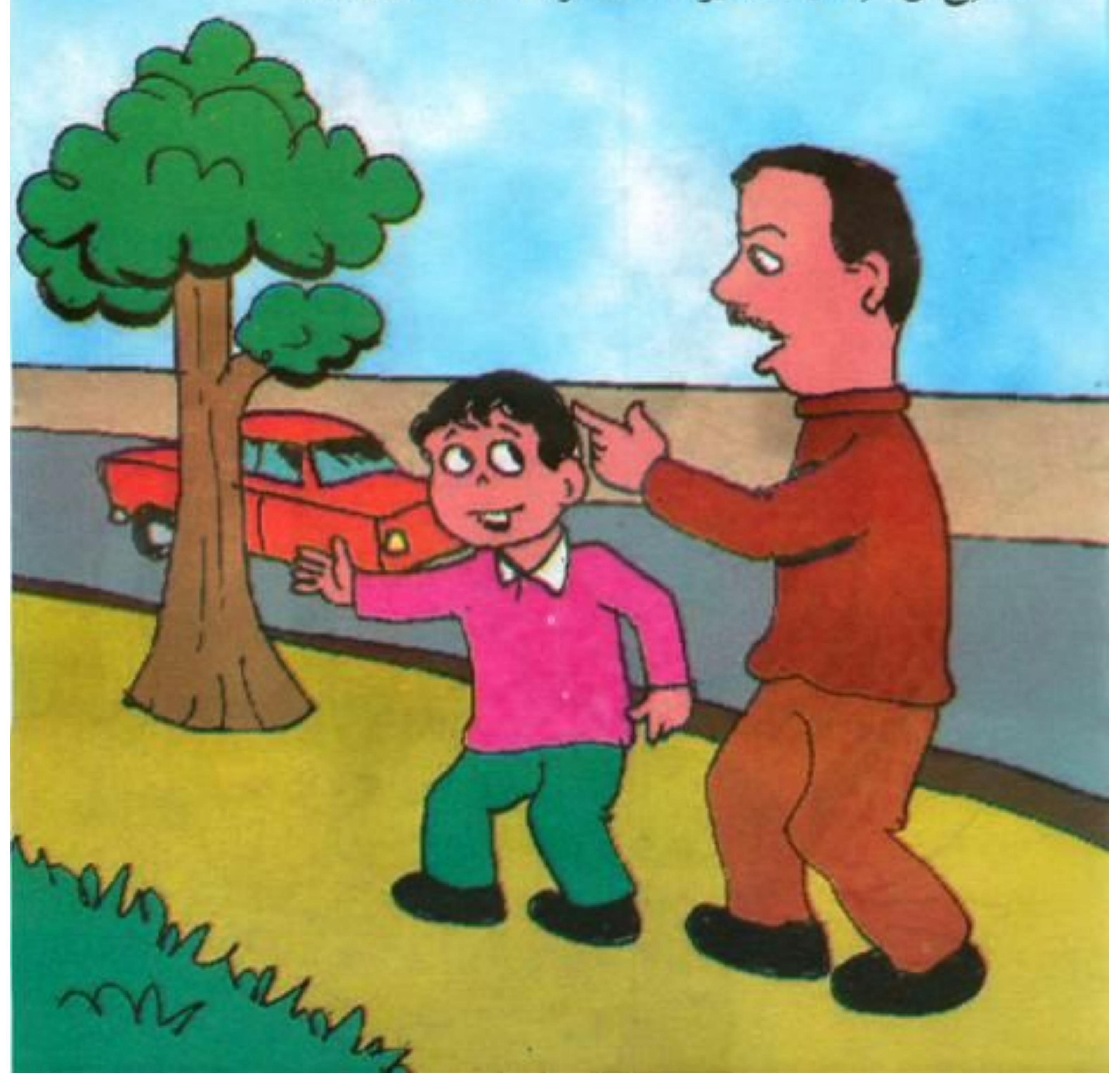
وكانَ عَدلاً منَ اللَّهِ ألاّ يَستَجيبَ لنَفسٍ عَصتْ وضَلَّت . . ولكنَّ رَحْمةَ اللَّهِ تَنزِل ، وتُفتَحُ أبوابُ السَّماءِ ، ويُستَجابُ للدّعاء .



(٣) قالَ طارق : لقـد سَـمِعتُ مـن مُـدرِّسِ التَّربيَـةِ الدِّينِيَّـةِ يَقول : إنَّ الدُّعاءَ عِبادَة . قالَ الوالِد : نَعَم يا بُنَيَّ - إنَّ اللَّه - سُبحانَهُ وتَعالى - يُحـبُّ مـنْ عِبـادِه أن يَدْعـوه . ولِذلـكَ يَقولُ ﴿ وقالَ ربُّكُم ادْعونى أستَجِبْ لَكم إنَّ الَّذينَ يَسْتَكبرونَ عن عِبادَتى سيَدخُلون جَهنَّمَ داخِرين ﴾ وهَكـذا يُحـبُّ اللَّـهُ مِـن عَبـدِه أنْ يَرفَـعَ يَدَيـهِ إلَـى السَّماءِ ويَقولَ يا رَبِّ .



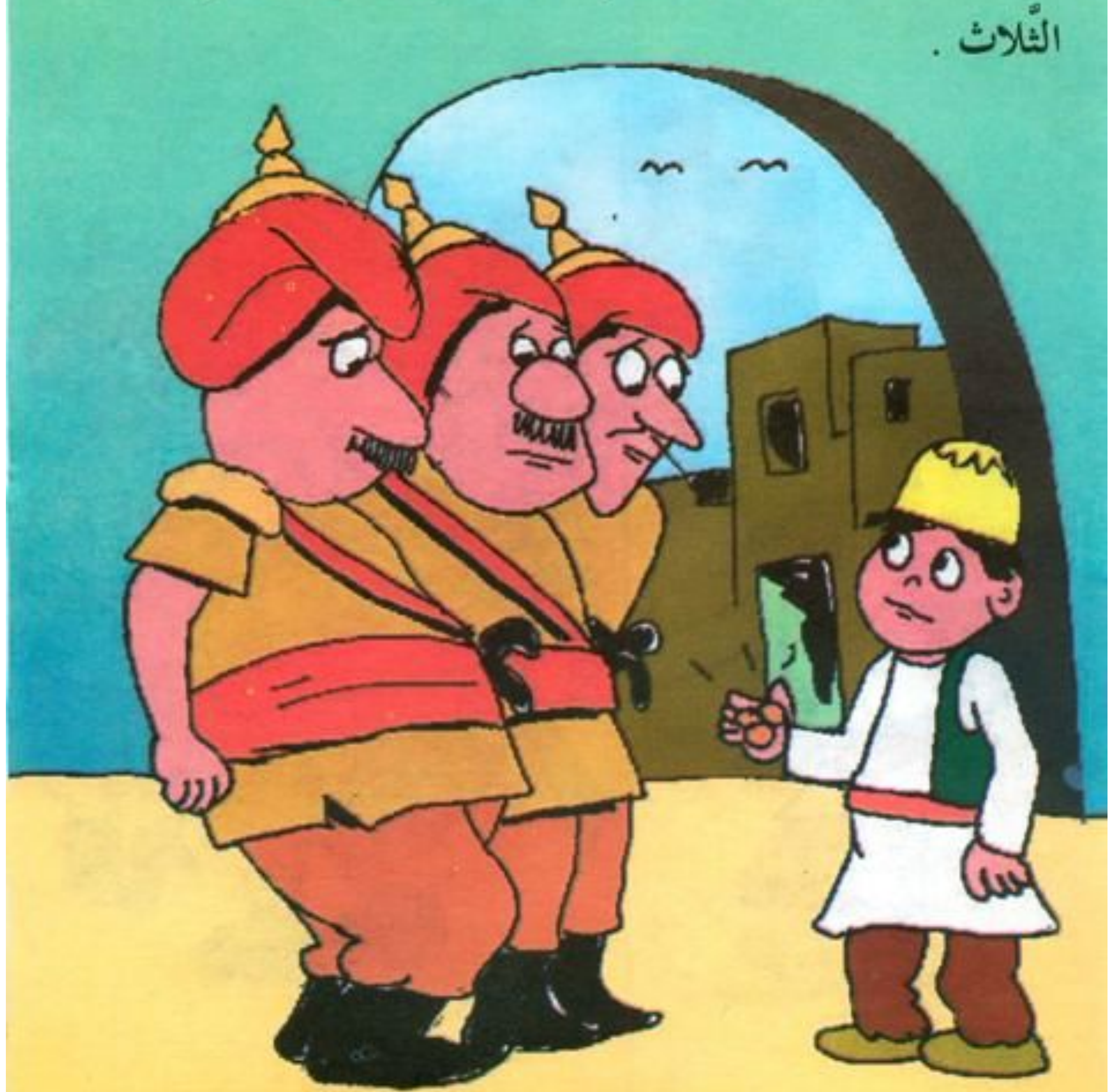
(٤) وهناكَ يا بُنَىّ دَعْوتانِ لا تُردّان ، فهو يَسْتَجيبُ لدُعاءِ المُضطَر ، مِصداقا لقَولِه تَعالى ﴿ أمَّن يُجيبُ المضْطَرَّ إذا دَعاه ، ويَكشِفُ السّوءَ ويَجعَلُكم خُلفاءَ الأرض ﴾ والدُّعاءُ الثّانى دَعوَةُ المَظلوم . قالَ طارِق : أرجو يا والِدى أن تَحكِىَ لى حِكايَةً صَغيرة ، فما زالَ البيتُ بَعيدا .



(٥) قالَ والِدُه : حَسنًا ، سأحْكى لكَ حِكايةً شَعبيَّة بَطلُها صبِيٌّ مِثْلُك . . في يَومٍ مِنَ الأيَّامِ مَرِضَت أُمٌّ ولم يكن لها سِوى صَبِيٌّ صَغيرٍ مثلِك ، فأعْطَتهُ أُمُّه ثَلاثَ قِطعٍ مِنَ الزُّجاج البارِق ، الَّذى كان يُشِعُّ شُعاعًا جَميلا ، كانت تَحتَفِظُ بها لِيَبيعَها بالَمدينَة ويَشترِىَ لَها الدَّواء .



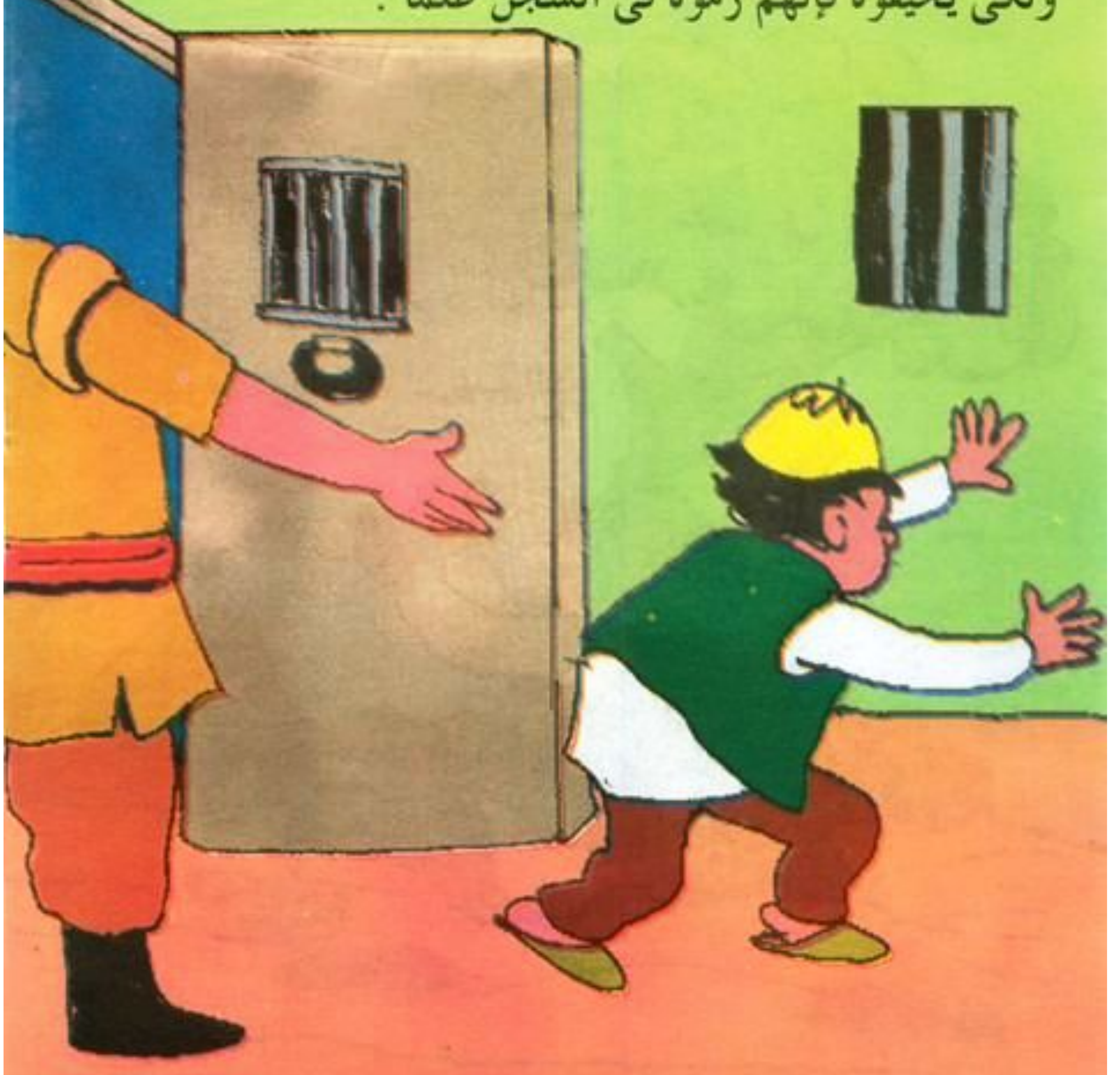
(٦) فقضى يومَه بطولِهِ فى الطَّريق ، كانَ يَمشى مَرَّةً ويجلِسُ مَرَّة . وما إن وَصَل إلى بَوّابَةِ المَدينَة ، حتَّى قابله ثَلاثَةٌ من جُنودِ المَلِك ، وسألوهُ عَمّا يَحمِلُ من قَريَتِهِ . . فما كان منه إلاّ أن مَدَّ يَديْهِ فى ثَوبه ، وأخرَجَ القِطَعَ الزُّجاجِيَّةَ الثَّلاث .



(٧) وما أكبرَ عَجَبَه ودَهشتَه . . حينَ رآهم يَمُدّون أيْديَهم مرَّةً واحِدَة ، ويَختَطِفون القِطَعَ الّتى كانتْ تُشعُّ بقُوَّة . وهى فى راحَتَى يَدَيْه . . فصرَخ فيهم وصاحَ ثم بكَى وقال : أرجوكُم إنَّ أُمّى فَقيرَةٌ ومَريضَة ، وقد أعطَتْنى إيّاها لأبيعَها واشترِىَ الدَّواءَ بثَمنِها .



(٨) ولكنَّهم بَدلاً من أنْ يُعطوهُ حتى قِطعَةً واحِدَة ، اقْتادوهُ إلَى السِّجن ، ورَمَوهُ فى إحْدى زَوايـاه . . تعجَّبَ الصَّبىُّ البَسيطُ الغَرير . . ولم يعرِفْ لِماذا عَمِلوا مَعه هكذا . أمّا الجُنودُ فقَد ظَنّوا أنَّ قِطَعَ الزُّجَاجِ ماساتٌ غاليَةُ الثَّمن ، ولكى يُخيفوه فإنَّهم رَمَوهُ فى السِّجن ظُلما .

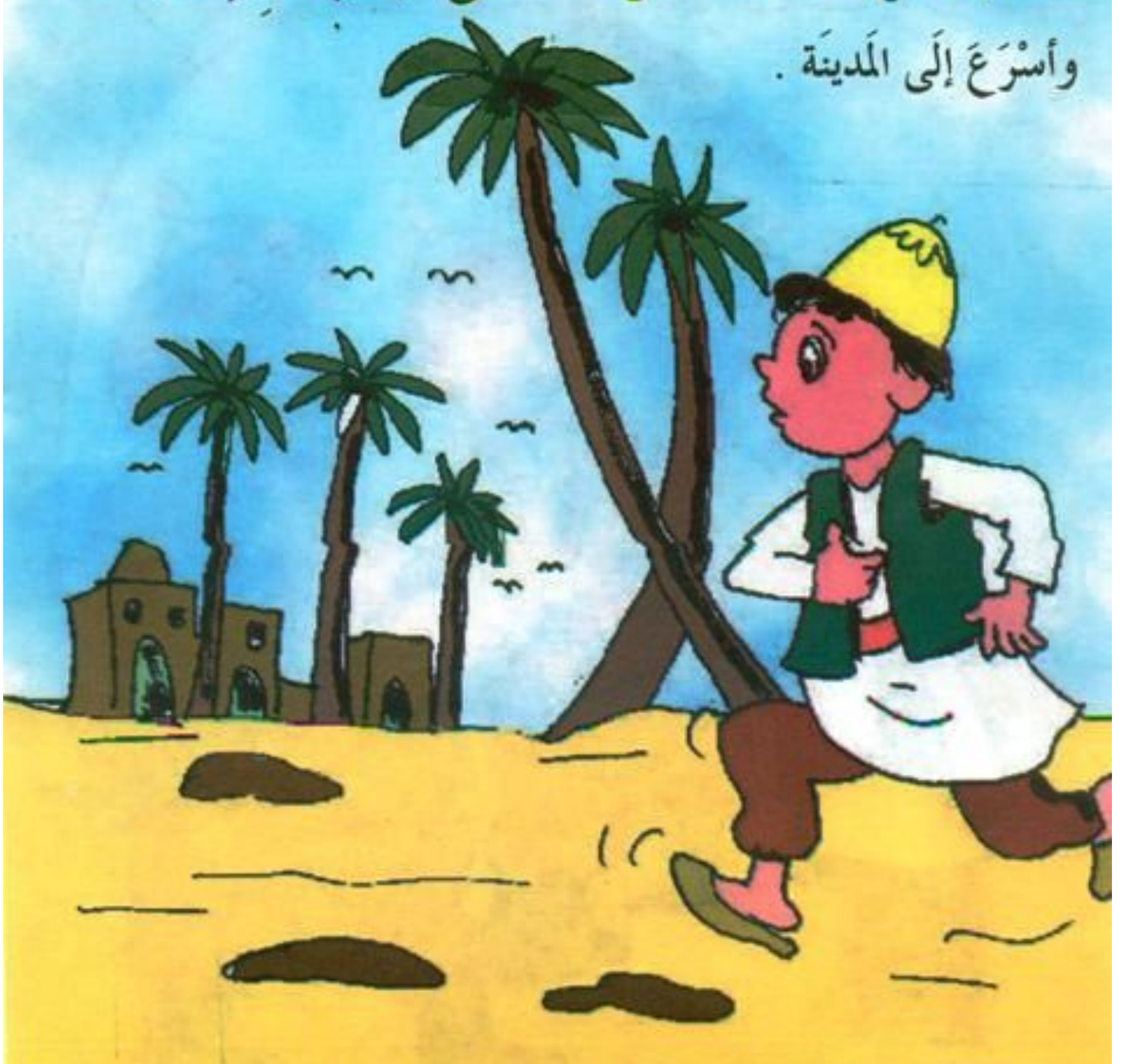


(٩) وفى صَباحِ اليَومِ التّالى ، أخْرَجوهُ وقادوهُ إلى خارجِ المدينَة ، ثمَّ دَفعوهُ بقُوَّةٍ وصاحوا به : اذهَب ولا تَعد ، وإن عُدتَ كَسَّرنا عِظامَك . . هامَ الصَّبىُّ على وجهه وهو يعودُ إلى بيتهِ باكيا . . فلمّا تعِبَ منَ المَسير جَلَسَ تحتَ شَجرَة ، ونظرَ إلى السَّماء ، ثم رَفعَ يَدَيهِ وقد اشْتَدَّ بُكاؤه وقال :

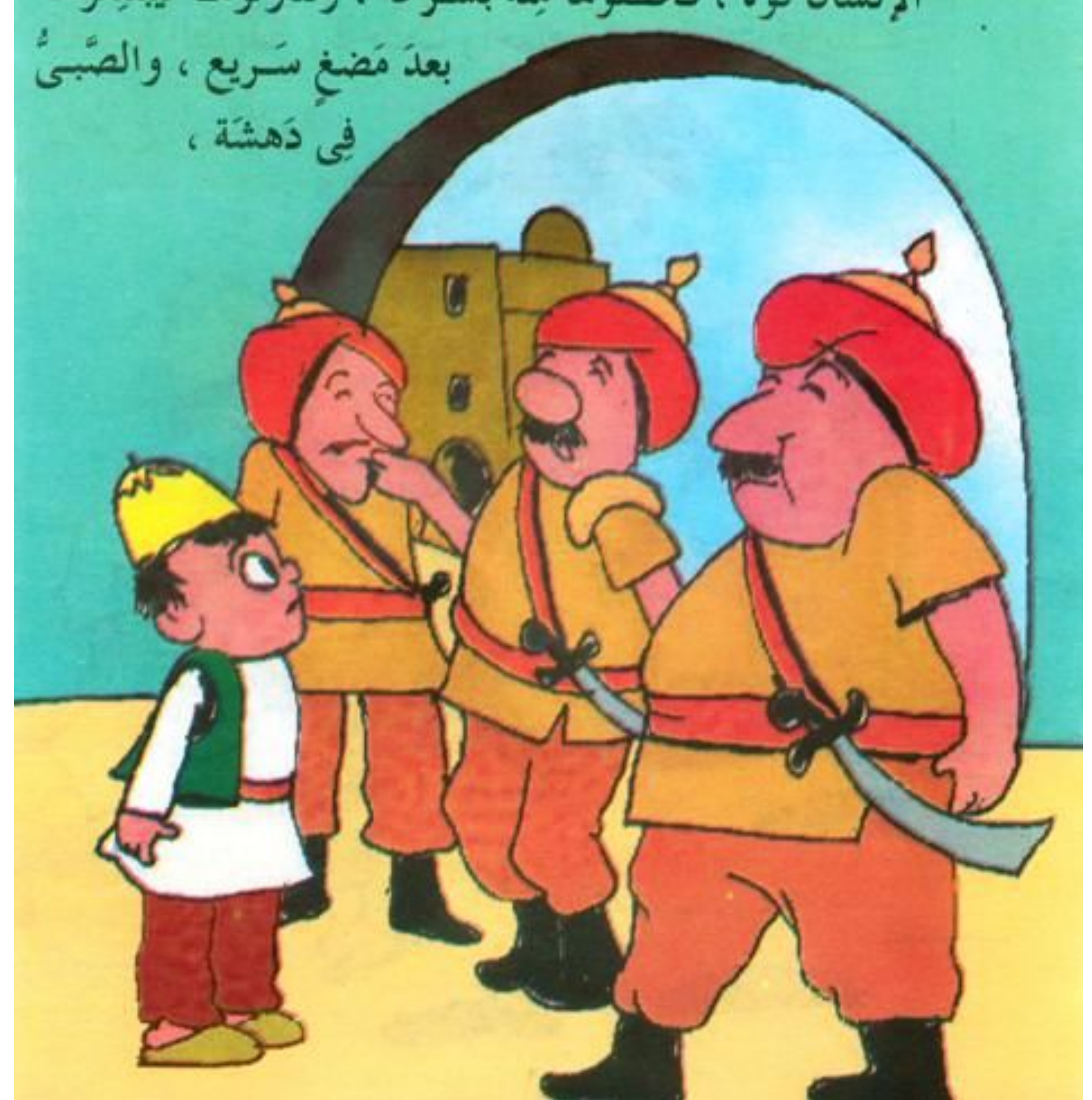
يارَبّ لقدْ أخذَ منّى الظّالِموَنَ ثمنَ دَواءِ أُمّى ، ولا أعْرِفُ كَيفَ أعودُ إليها بدونَ الدَّواء . وما لَبثَ أنْ غَلبَهُ النَّوم .

(١٠) وسَرعانَ ما رأىَ فى مَنامِه ، شَـيْخًا وَقـورًا قـالَ لـه : يا بُنَىَّ توجَدُ عُشبَةٌ طَويلَة ، تَنبتُ بجوار الشَّجَرة . . اقْطِفْهـا وعُد بِها إلَى المَدينَة حالاً ، فإنَّ لَها نفعًا كبيرًا هُناك .

اسْتَيقظَ الصَّبىُّ ونظرَ إلى جوارِ الشَّجَرَة ، وتعجَّبَ حينَ رأى العُشـبَةَ الطَّويلَـة ، فأخَذَهـا وأخْفاهـا فـى طَيّـاتِ مَلابِسِـه ، وأسْرَعَ إلَى المَدينَة .



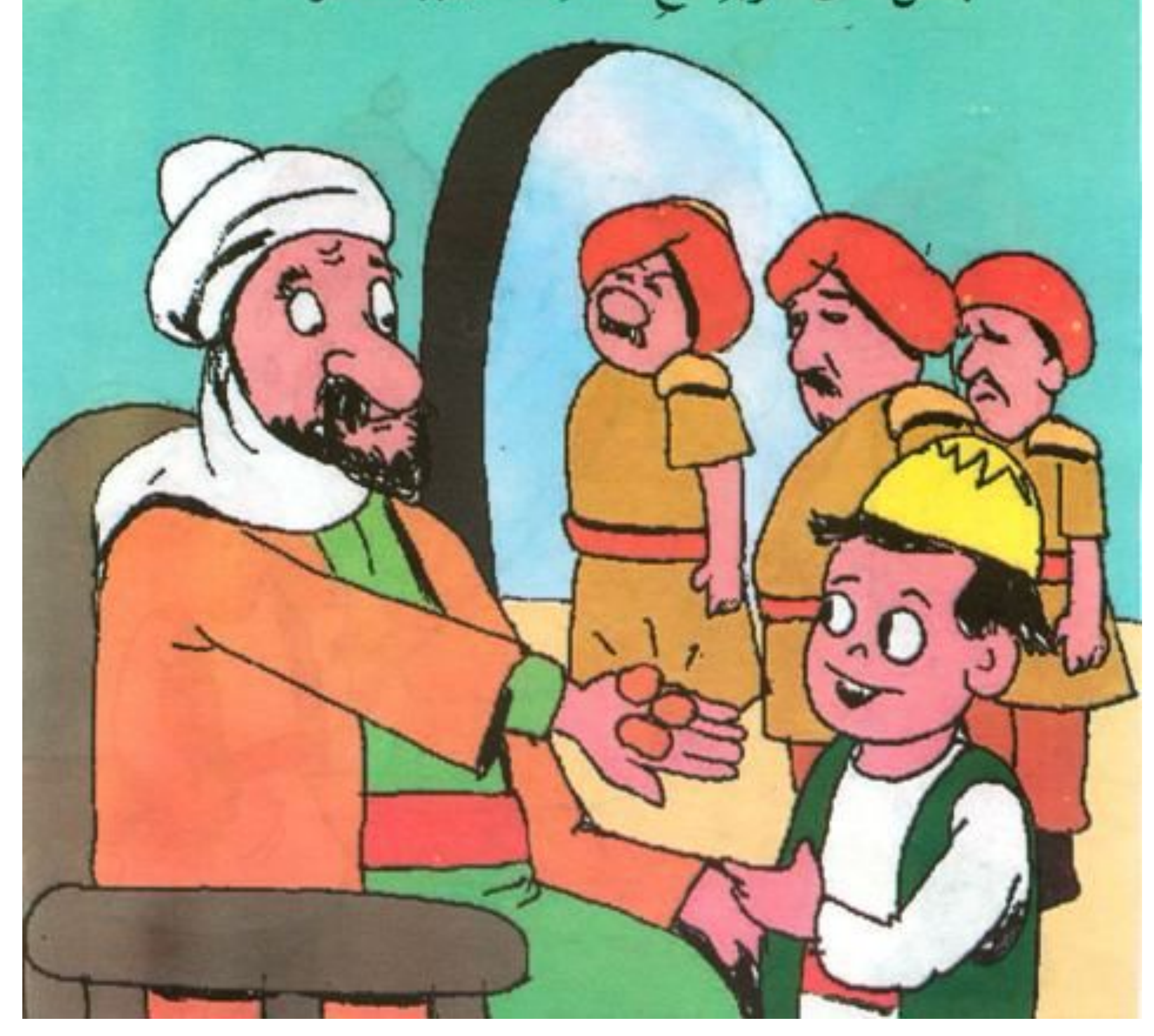
(١١) وهُناكَ علَى بَوّابَةِ المَدينة ، تَقدَّمَ نحوَه الجُنـود وسَـألوه مثلَ المـرَّةِ السّـابقَة . . مـاذا تحمِـلُ هَـذهِ المـرَّة ؟ فـأراهُم العُشبَةَ .. فضَحِكوا مِنه ، لكنَّه قالَ فى جدِّية ، وهو لا يَعلَمُ من جَعلَهُ يَقولُ هَكذا . . إنَّ هذِه العُشبَةَ خيرٌ وبَرَكَة ، تَزيدُ الإنْسانَ قُوَّة ، فخطَفوها مِنه بسـرعة ، وتَناولوهـا ليبْتَلِعوهـا بعدَ مَضغٍ سَـريع ، والصَّبىُّ فِى دَهشَة ،



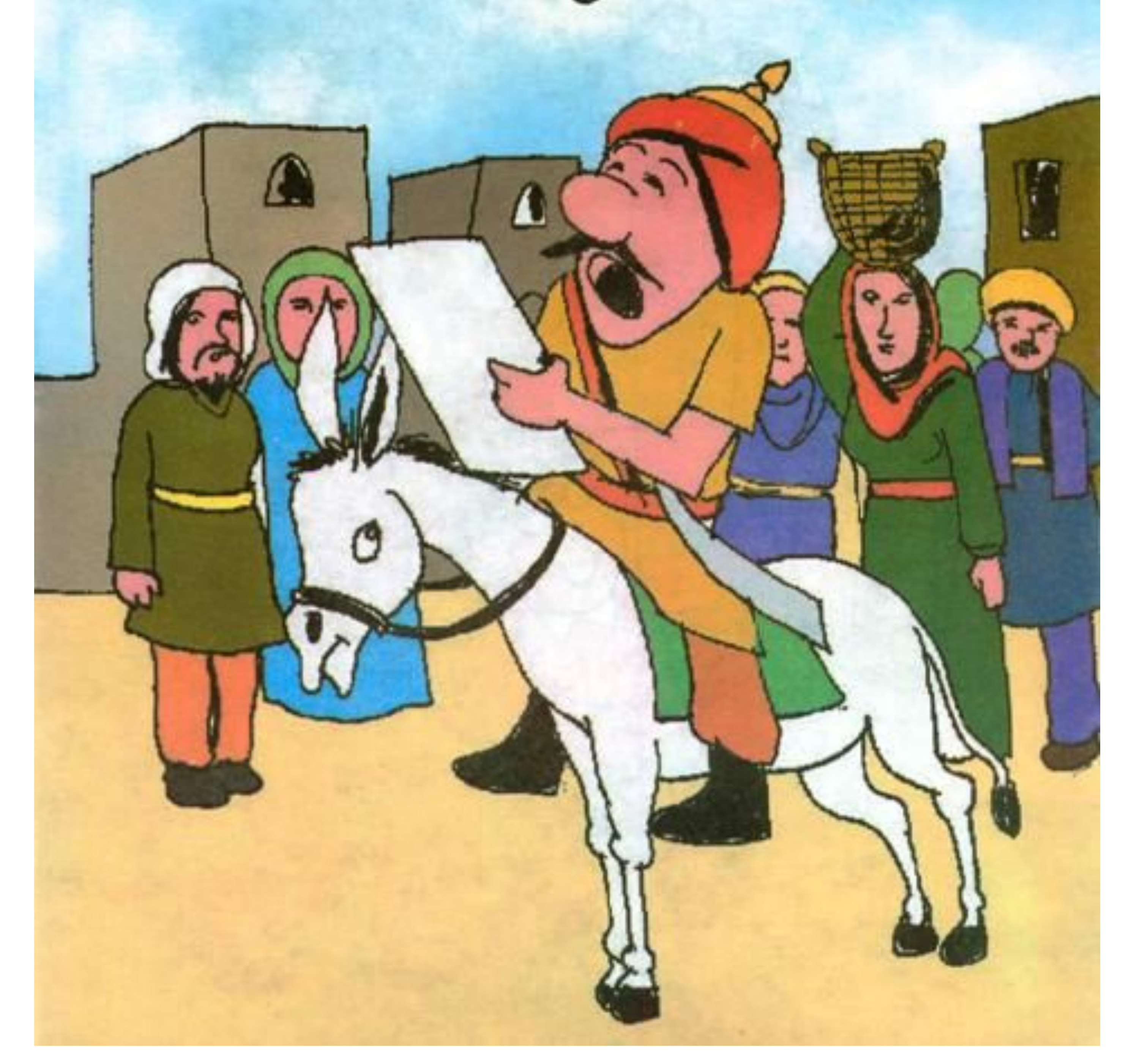
(١٢) وفى الحال تَغـيَّرت وجُوهُهُـم ، وأخـذوا يَبكـونَ ويَعتَذِرونَ إلَى الصَّبىّ ، بَطريقَةٍ جَعلت النّاسَ يَلتَفّونَ حَولَهم يُشاهِدون هذا المَنظَر العَجيب . . ثلاثَةٌ من الحرّاسِ يَبكون ، ويَعتَرفون بجَريمَتِهم ، ويتأسَّفون لصَبِىٍّ صَغـير ، حتَّى وصلَ الأَمرُ إلى قاضى الـمَدِينة .



(١٣) وعندَ القاضى اعْترفَ الجُنود ، وقالوا : سيِّدَنا القاضى ، نحنُ ظَلمنا هَذا الصَّبى ، وسَلبنا مِنهُ هَذهِ الماسات . . ثمَّ سَجَنّاه ، فافعَل بنا ما تَشاء . . فأعادَ القاضى للصَّبىِّ حقَّه ، ورَمى بالجُنودِ فى السِّجن . وفى نَفسِ الوَقت ، علِمَ المَلكُ بالأَمر ، فأمرَ بإعطاءِ الصَّبىِّ بعضَ المال ، وبعِلاجِ أُمِّه عِندَ طبيبِ القَصْر .



(١٤) ولم يكتَفِ الملِكُ بذلك ، بل أمَرَ المُنادى أنْ يُنادِىَ في حَوارى المَدينة : (كلُّ من وَقَعَ عَليهِ ظُلمٌ من جُنودِ المَلك أو حاشِيَتِه ، أن يَتقــدَّم لِلقــاضى أو لِلملــك ، ليــأخُذَ حقَّــه ويُنصِفَه . . وهَكذا يا بُنــىَّ اسْتجابَ اللَّــهُ لدَعــوَةِ المَظلـوم ، فاللَّهُ وحْدَه في يَدهِ قَضاءُ الحَوائج .



(١٥) قال طارقٌ فى سُرور : مـا أجمـلَ مَعـانى أسمـاءِ اللّـه .
أشكُركَ يا أبَى . فذكـرُ اللّـهِ يُقرِّبُنـا إليـه ، ويُقرِّبُـهُ إلَيْنـا . .
أشار طارِقُ بِيديه وقال : لقد وَصلنا أخيرًا إلى البيت .

